# مجموعة القصص الدينية

باشراف محمد أحمد برانق



٢

# سَبَأ

دار المعارف بمصر

مجموعة القصص الدينية
٢

بإشراف
محمد أحمد برانق

# سَبَأ

الطبعة الحادية عشرة

دار المعارف

لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ : جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ؛ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ ، وَاشْكُرُوا لَهُ ؛ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ .

كَانَ سَبَأٌ اسْمَ رَجُلٍ ! ثُمَّ عُرِفَتْ بِهِ أُمَّةٌ وَقَبَائِلُ ! ثُمَّ صَارَ اسْماً لِبَلْدَةٍ !

فَمَنْ هُوَ سَبَأٌ الرَّجُلُ ؟ وَأَيْنَ كَانَ يَعِيشُ ؟ وَمَا هِيَ سَبَأٌ الْقَبَائِلُ ؟ وَأَيْنَ كَانَتْ تُقِيمُ ؟ وَمَا هِيَ سَبَأٌ الْبَلْدَةُ ؟ وَفِي أَيِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ تَقَعُ ؟

بَعْدَ أَنْ أَغْرَقَ اللهُ الْأَرْضَ جَمِيعَهَا بِطُوفَانِهِ الَّذِي أَهْلَكَ بِهِ الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ — نَجَا نُوحٌ وَمَنْ آمَنَ بِهِ بِالسَّفِينَةِ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَصْنَعَهَا وَيَنْجُوَ بِهَا مَعَ أَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ السَّمَاءَ أَنْ تُقْلِعَ عَنِ الْمَطَرِ ، فَأَقْلَعَتْ ؛ وَالْأَرْضَ أَنْ تَبْلَعَ الْمَاءَ فَبَلَعَتْهُ ؛ عَادَتِ الْأَرْضُ صَالِحَةً لِسُكْنَى

النَّاسِ ، وَحَطَّتْ سَفِينَةُ نُوحٍ بِجَانِبِ جَبَلٍ اسْمُهُ الْجُودِيُّ .

وَنَزَلَ نُوحٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَطَيْرٍ وَحَيَوَانٍ لِيَعْمُرُوا الْأَرْضَ مِنْ جَدِيدٍ .

كَانَ لِنُوحٍ فِيمَنْ نَزَلَ مِنَ السَّفِينَةِ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ شَبَابٌ هُمْ : سَامٌ وَحَامٌ وَيَافِثُ .

وَاجْتَمَعَ هَـذَا النَّفَرُ الَّذِى كَانَ مَعَ نُوحٍ فِى السَّفِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ ، وَقَدْ رَاعَهُمْ عِظَمُ الْأَرْضِ مِنْ حَوْلِهِمْ ، وَهَالَهُمُ اتِّسَاعُهَا بِالنِّسْبَةِ لِقِلَّتِهِمْ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ :

يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَخَيَّرَ مَكَانًا صَالِحًا نَعِيشُ فِيهِ مُتَكَاتِفِينَ مُتَضَامِنِينَ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُنَا عَوْنًا لِبَعْضٍ .

وَقَالَ آخَرُ : بَلْ يَجِبُ أَيْضًا أَنْ نَتَعَاوَنَ فِى أَنْ نُقِيمَ لَنَا صَرْحًا مَتِينًا ضَخْمًا يَقِينَا عَوَادِىَ الدَّهْرِ وَمَا قَدْ يُصِيبُنَا مِنْ تَقَلُّبَاتِ الْأَرْضِ فِى مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ .

وَنَظَرَ نُوحٌ إِلَى أَصْحَابِهِ بِدَهْشَةٍ وَعَجَبٍ وَقَالَ لَهُمْ :

يَا رِفَاقِى ؛ أَوَلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ ؟ !

قَالُوا : بَلَى ! قَدْ آمَنَّا ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَنَا بِهِ .

قَالَ : أَوَلَمْ تَرَوْا آيَاتِ اللهِ ، وَتَلْمِسُوا قُدْرَتَهُ ، حِينَ أَغْرَقَ الْأَرْضَ وَأَنْجَاكُمْ ؟

قَالُوا : بَلَى ! قَدْ رَأَيْنَا آيَتَهُ ، وَلَمَسْنَا قُدْرَتَهُ .

قَالَ نُوحٌ : أَوَلَيْسَ اللهُ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَمْنَعَ عَنْكُمُ السُّوءَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ ، وَأَنْ يُصِيبَكُمْ بِهِ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ؟!

قَالُوا : بَلَى ! إِنَّهُ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِنَا مَا تَقُولُ .

قَالَ نُوحٌ : إِذَنْ ؛ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ ، وَاسْعَوْا فِي مَنَاكِبِهَا ، وَكُلُوا مِمَّا يَرْزُقُكُمُ اللهُ ، فَمَا أَبْقَاكُمُ اللهُ وَأَنْجَاكُمْ مِنَ الْغَرَقِ إِلَّا لِيَعْمُرَ الْأَرْضَ بِذُرِّيَّتِكُمْ مِنْ جَدِيدٍ .

قَالُوا : نَحْنُ رَهْنُ مَشِيئَتِكَ ، فَأَشِرْ عَلَيْنَا بِمَا تَرَى .

قَالَ : أَمَامَكُمُ الْأَرْضُ خَالِيَةً فَسِيحَةً ، فَلْيَتَخَيَّرْ كُلٌّ مِنْكُمْ مَا يُنَاسِبُهُ مِنْهَا . وَهَا هُمْ أَوْلَادِي الثَّلَاثَةُ سَأُوَجِّهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الْأَرْضِ ، فَلَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ وَكُونُوا قَوْماً صَالِحِينَ .

## ٢

وَهَكَذَا تفرَّقَ أَبْنَاءُ نُوحٍ الثَّلَاثَةُ فِي ثَلَاثِ جِهَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَكَانَ مِنْ نَسْلِهِمْ ثَلَاثُ ذُرِّيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ انْتَشَرَتْ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ ، وَأَنْحَائِهَا الْوَاسِعَةِ ، فَسَكَنَتْهَا وَعَمَرَتْهَا .

وَوُلِدَ لِسَامٍ خَمْسَةُ أَبْنَاءٍ ، مِنْهُمْ : أَرْفَخْشَذُ وَإِرَمُ وَلَاوَذُ . فَمِنْ ذُرِّيَّةِ أَرْفَخْشَذَ كَانَتْ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَتْ مِنْهُمْ جُرْهُمُ الأُولَى . وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِرَمَ كَانَتْ قَبَائِلُ عَادٍ وَثَمُودَ وَجَدِيسَ . وَمِنْ ذُرِّيَّةِ لَاوَذَ كَانَتْ قَبَائِلُ طَسْمٍ وَأُمَيْمٍ وَالْعَمَالِيقِ . وَمِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ كُلِّهَا تَكَوَّنَ الْعَرَبُ .

وَسَكَنَتْ جُرْهُمُ الْحِجَازَ ، وَسَكَنَتْ عَادٌ بِلَادَ الْأَحْقَافِ ، وَهِيَ مَكَانَ الرِّمَالِ الَّتِي تَقَعُ شَمَالِيَّ حَضْرَمَوْتَ ، وَسَكَنَ بَعْضُهَا مَكَّةَ ، وَسَكَنَتْ ثَمُودُ بِالْحِجْرِ : وَهُوَ مَا يَقَعُ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِلَى وَادِي الْقُرَى ، وَسَكَنَتْ جَدِيسُ وَطَسْمٌ الْيَمَامَةَ ،

وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ تُعْرَفُ بِجَوّ ، وَأَقامَتْ جَسَمُ بِعُمَانَ ، وَكَانَتْ الْعَمَالِيقُ بِالحِجَازِ ، وَبَعْضُهُمْ بِالشَّامِ ، وَبَعْضُهُمْ بِمِصْرَ .

ونَسِيَتْ ذُرِّيَّةُ نُوحٍ عَلَى طُولِ السِّنِينَ أَبَاهُمْ نُوحاً، وَنَسِيَ النَّاسُ نَصَائِحَهُ وَتَعالِيمَهُ فَعَبَدُوا الأَصْنامَ، وَقَدَّسُوا الأَوْثَانَ ، وَأَشْرَكُوا بِاللهِ .

فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَى قَوْمِ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً رَسُولاً يَنْصَحُهُمْ وَيُبَصِّرُهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ وَعَصَوْهُ فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ بِأَنْ سَلَّطَ عَلَيهِمْ رِيحاً فَأَبَادَتْهُمْ .

وَأَرْسَلَ اللهُ إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا فَكَذَّبُوهُ ، فَأَرْسَلَ اللهُ عَلَيهِمُ الصَّاعِقَةَ فَصَعَقَتْهُمْ .

بَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ عَادٍ . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ ثَمُودَ . أَمَّا مَنْ نَجَا مِنْ قَوْمِ عَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فَقَدِ اتَّجَهُوا جَنُوباً نَحْوَ الْيَمَنِ ، فَمَلَكُوهُ ، وَعَاشُوا فِيهِ زَمَناً ثُمَّ عَادُوا إِلَى سِيرَتِهِمُ الأُولَى مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلالِ ، حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ وَشَرَّدَهُمْ فِي جِبَالِ حَضْرَمَوْتَ قَحْطَانُ بْنُ عَابِرِ بْنِ أَرْفَخْشَذَ هُوَ وَابْنُهُ يَعْرُبُ.

وَمَلَكَ يَعْرُبُ الْيَمنَ ، وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَلِكٍ حُيِّيَ بِتَحِيَّةِ « أَبَيْتَ اللَّعْنَ » الَّتِي صَارَتْ تَحِيةً لِلْمُلُوكِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قِيلَ لَهُ : « أَنْعِمْ صَبَاحًا » وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَتْ لُغَتُهُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا اللغَةَ الْعَرَبِيَّةَ .

وَقَسَّمَ يَعْرُبُ مُلْكَ الْيَمَنِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الحجَازِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا عَاداً الثَّانِيَةَ وَالْعَمَالِقَةَ ، وَوَلَّى عَلَيْهَا أَخَاهُ جُرْهُمًا . وَتَشَعَّبَتْ بَعْدَذَلِكَ قَبَائِلُ بَنِي قَحْطَانَ بِالْيَمَنِ . فَصَحَّ عَلَى قَحْطَانَ أَنْ يُلقَّبَ بِحَقٍّ : أَبَا الْيَمَنِ .

وَعُرِفَتْ الْقَبَائِلُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِرَمَ وَلاَوَذَ بِالْعَرَبِ الْعَارِبَةِ .

وَعُرِفَتْ الْقَبَائِلُ مِنْ بَنِي قَحْطَانَ بِالْعَرَبِ الْمُسْتَعْرِبَةِ .

أَمَّا الْمَلِكُ يَعْرُبُ فَكَانَ مِنْ أَوْلاَدِهِ يَشْجُبُ ، وَكَانَ مِنْ يَشْجُبَ عَامِرٌ ، وَكَانَ عَامِرٌ غُلاَمًا جَمِيلاً وَسِيماً وَضِيئًا ، أَسْمَاهُ أَبُوهُ لِفَرْطِ حُسْنِهِ وَجَمَالِهِ عِبَ شَمْسٍ : أَىْ ( ضَوْءَ الشَّمْسِ ) ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ عَبْدُ شَمْسٍ .

٣

شَبَّ عَبْدُ شَمْسٍ فِى بَيْتِ المُلْكِ ، وَأَخَذَ يَمْرَحُ فِى مَأْرِبَ قَصْرِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ بَيْنَ أَسْبَابِ النَّعِيمِ وَمَظَاهِرِ التَّرَفِ .

فَهَلْ شَبَّ عَبْدُ شَمْسٍ مُنَعَّماً مُتْرَفاً عَلَى النَّحْوِ الَّذِى تَقْتَضِيهِ عِزَّةُ الْمُلْكِ ، وَرَخَاءُ الْعَيْشِ ؟! وَهَلْ شَبَّ مُدَلَّلاً مَزْهُوًّا كَمَا يُؤَهِّلُهُ لِذَلِكَ جَمَالُهُ وَحُسْنُهُ ؟! اَلْحَقُّ لَا !!

فَلَقَدْ شَبَّ عَبْدُ شَمْسٍ مُدَرَّباً مُحَنَّكًا كَمَا يُحَتِّمُ ذَلِكَ تَدْبِيرُ الْمُلْكِ وَحِكْمَتُهُ ! وَشَبَّ سِيَاسِيًّا كَمَا يُهَيِّأُ لِذَلِكَ مَنْ سَوْفَ تَقَعُ عَلَى عَوَاتِقِهِ أَعْبَاءُ مُلْكٍ، وَمَهَامُّ دَوْلَةٍ . لَقَدْ أَهَّلَهُ وَالِدُهُ لِحُكْمِ قَبَائِلَ انْتَثَرَتْ فِى جَوْفِ الصَّحْرَاءِ ، وَجَمَاعَاتٍ عَاشَتْ بَيْنَ الرِّمَالِ ، وَبَعُدَتْ عَن كُلِّ مَظَاهِرِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِ النَّعِيمِ .

وَلَقَدْ أَعَدَّهُ أَبُوهُ لِيَحْكُمَ قَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً ، وَيَسُوسَ أَوْ يُنَازِلَ أَعْمَامًا لِأَبِيهِ اسْتَبَدُّوا بِمَا فِى أَيْدِيهِمْ مِنْ مُلْكٍ قَسَّمَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ جَدُّهُ يَعْرُبُ . وَهَكَذَا نَشَأَ عَبْدُ شَمْسٍ لِيَحْكُمَ ،

وَأَعِدَّ لِيَمْلِكَ . وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَوَلَّى حُكْمَ الْيَمَنِ شَابٌّ وَسِيمٌ شُجَاعٌ حازِمٌ عَاقِلٌ مُدَرَّبٌ . فَمَاذَا فَعَلَ عَبْدُ شَمْسٍ لِلْيَمَنِ ؟ وَمَاذَا أَعَدَّ لِخَيْرِ شَعْبِهِ ، وَرَخَاءِ قَبَائِلِهِ ؟

لَقَدْ صَحِبَ عَبْدُ شَمْسٍ نَفَرًا مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَذَوِى الرَّأْيِ مِنْ رُؤَسَاءِ عَشِيرَتِهِ ، وَسَارَ يَطُوفُ مَعَهُمْ فِي أَرْجَاءِ مَمْلَكَتِهِ ، يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ قَبَائِلِهِ ، وَيَخْتَبِرُ أَرْضَ بِلَادِهِ ، وَيَتَعَرَّفُ مَعَالِمَهَا وَيُشَاهِدُ جِبَالَهَا وَوُدْيَانَهَا .

وَسَارَ عَبْدُ شَمْسٍ وَسَارَ ، وَصَعَدَ فِي نِجَادٍ وَهَبَطَ فِي وِهَادٍ ، وَتَسَلَّقَ إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَنَزَلَ إِلَى بُطُونِ الْوِدْيَانِ ، وَأَخِيرًا تَرَيَّثَ بِوَادٍ فَسِيحٍ تَلْتَقِي بِأَرْضِهِ سُفُوحٌ لِثَلَاثَةِ جِبَالٍ تَخُطُّ بَيْنَ مُنْعَرَجَاتِ رِمَالِهَا وَصُخُورِهَا خُطُوطًا لِمَسَايِلِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَوَقَفَ عَبْدُ شَمْسٍ يُفَكِّرُ وَيَتَأَمَّلُ ، وَيُقَلِّبُ الرَّأْيَ مَعَ رِفَاقِهِ ، وَسَأَلَ : أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْخُطُوطُ الْمُتَعَرِّجَةُ الَّتِي تَخُطُّ أَخَادِيدَ بَيْنَ رِمَالِ الْجِبَالِ وَصُخُورِهَا مَجَارِيَ لِمَاءِ الْمَطَرِ ؟!

فَأَجَابَ صَحْبُهُ : بَلَى !! إِنَّهَا مُنْحَدَرَاتٌ لِمِيَاهِ الْأَمْطَارِ الَّتِي

تَهْطِلُ عَلَى أَعَالِي الْجِبَالِ ثُمَّ تَنْحَدِرُ إِلَى الْوَادِي .

سَأَلَ : وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الْمِيَاهُ ؟ قِيلَ لَهُ : تَنْحَدِرُ حَسَبَ انْحِدَارِ أَرْضِ الْوَادِي : فَبَعْضُهَا يَتَّجِهُ نَحْوَ الْأَرَاضِي الْخِصْبَةِ ، فَيَنْمُو بِفَضْلِهِ قَلِيلٌ مِنَ الْمَزْرُوعَاتِ الَّتِي يَعِيشُ عَلَيْهَا نَفَرٌ مِنَ الْأَهَالِي، وَأَكْثَرُهَا يَنْحَدِرُ بَيْنَ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ، فَتَمْتَصُّهُ وَيَضِيعُ كَمَا يَضِيعُ غَيْرُهُ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ الَّتِي تَهْطِلُ عَلَى الْجِبَالِ الْأُخْرَى الْعَالِيَةِ ثُمَّ يَنْحَدِرُ نَحْوَ الْبَحْرِ .

سَأَلَ : وَمَا ثَمَرَةُ هَذَا الْمَاءِ الْمُتَبَدِّدِ بَيْنَ رِمَالِ الصَّحْرَاءِ ؟

قِيلَ لَا ثَمَرَةَ لَهُ ، فَهُوَ يَذْهَبُ سُدًى، وَيَتَبَدَّدُ هَبَاءً .

أَطْرَقَ عَبْدُ شَمْسٍ يُفَكِّرُ فِي هَذَا الْمَاءِ الَّذِي يَذْهَبُ إِلَى بِطَاحِ الصَّحْرَاءِ ، وَيَضِيعُ فِي الْبِحَارِ دُونَ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ صَاحِبُ زَرْعٍ ، أَوْ ذَاتُ ضَرْعٍ .

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ قَائِلًا لَهُمْ :

لَا بُدَّ أَنْ نُفَكِّرَ يَا رِفَاقُ فِي طَرِيقَةٍ نَسْتَفِيدُ بِهَا مِنْ هَذِهِ

الْمِيَاهِ ، وَنَتَدَبَّرُ فِي تَصْرِيفِهَا بِمَا يَعُودُ عَلَيْنَا بِالْخَيْرِ وَالْمَنْفَعَةِ .

قَالُوا الرَّأْيُ لَكَ ، فَأْمُرْ بِمَا تَرَى .

وَعَادَ الْمَلِكُ عَبْدُ شَمْسٍ إِلَى قَصْرِهِ لِيَرْأَسَ جَمْعًا مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ فِي بِلَادِهِ لِلْبَحْثِ عَنْ مَشْرُوعٍ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْبِلَادُ ، وَتَسْتَنْقِذُ بِهِ الْمِيَاهَ الَّتِي تَذْهَبُ دُونَ فَائِدَةٍ .

وَقَالَ الْمَلِكُ يُخَاطِبُ الْمُجْتَمِعِينَ :

هَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْآرَاءِ ، وَسُوقُوا مَا تَرَوْنَ مِنْ تَدْبِيرٍ .

فَقَالَ نَفَرٌ مِنْهُمْ . نَرَى أَنْ نُوَحِّدَ مَجَارِيَ الْمِيَاهِ حَوْلَ الْجِبَالِ بِتَسْوِيَةِ الْأَرْضِ إِلَى اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ ، وَبِذَلِكَ تَجْرِي الْمِيَاهُ فِي مَجْرًى وَاحِدٍ ، فَنُحَوِّلُهَا حَيْثُ نَشَاءُ .

فَقَالَ نَفَرٌ ثَانٍ : إِذَنْ ، لَا بُدَّ مِنْ شَقِّ الْأَرْضِ أَمَامَ الْمِيَاهِ لِتَجْرِيَ فِيهِ ، فَنَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ خَطَطْنَا نَهْرًا مُبَارَكًا .

فَاعْتَرَضَ نَفَرٌ آخَرُ يَقُولُ : وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ يَنْتَهِي سَيْرُ هَذَا النَّهْرِ ؟! وَفِي أَيِّ الْجِهَاتِ يَفِيضُ إِذَا زَادَ مَاؤُهُ ؟!

وَتَعَدَّدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْآرَاءُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَقْوَالُ ، وَكَثُرَتِ

الْمُنَاقَشَةُ ، وَحَمِيَتِ الْمُجَادَلَةُ ، وَالْمَلِكُ يَزِنُ كُلَّ رَأْيٍ ، ثُمَّ قَالَ :

أَرَى أَنْ نُقِيمَ سَدًّا ، فَنَبْنِي بُنْيَانًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِعَرْضِ الْوَادِي الَّذِي تَنْحَدِرُ مِيَاهُ الْأَمْطَارِ فِيهِ ؛ فَتَنْحَبِسُ بِذَلِكَ الْمِيَاهُ خَلْفَهُ ، وَنَجْعَلُ فِي هَـذَا الْبُنْيَانِ عُيُونًا تُفْتَحُ وَتُقْفَلُ لِتَصْرِيفِ الْمَاءِ بِقَدْرِ حَاجَتِنَا ، وَحَسَبِ رَغْبَتِنَا ؛ وَبِذَلِكَ نَأْمَنُ عَلَى الْأَرْضِ شَرَّ الْجَفَافِ وَنَضْمَنُ لِزَرْعِنَا دَوَامَ الرِّيِّ ، فَمَاذَا تَرَوْنَ ؟

فَانْدَفَعَ فَرِيقٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ يُحَبِّذُونَ رَأْيَ الْمَلِكِ وَيَمْتَدِحُونَهُ وَيَسْتَصْوِبُونَهُ قَائِلِينَ : نَعَمْ . الرَّأْيُ رَأْيُ الْمَلِكِ ،

وَاعْتَرَضَ فَرِيقٌ ثَانٍ يَقُولُ :

وَلَـكِنْ كَيْفَ يُقَامُ هَذَا السَّدُّ الَّذِي يُقَاوِمُ قُوَّةَ انْدِفَاعِ الْمَاءِ ؟ ! وَكَيْفَ يُحَصَّنُ ضِدَّ تَسَرُّبِ الْمَاءِ ، وَاحْتِمَالِ انْهِيَارِهِ ؟ ! إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ قِيَامُ سَدٍّ عَالٍ يَصِلُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

وَقَالَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ : عَلَيْنَا أَنْ نَدْرُسَ الْأَمْرَ لِنَرَى : أَنَسْتَطِيعُ إِقَامَةَ هَذَا السَّدِّ أَمْ أَنَّ هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ تَنْفِيذُهُ .

وَقَالَ الْمَلِكُ : يَجِبُ أَنْ نَبْذُلَ كُلَّ جُهْدِنَا ، فَإِنِّي آمُلُ

مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كلَّ خَيْرٍ لِبَلَادِنَا .

وَانفَضَّ الِاجْتِماعُ بِقَصْرِ الْمَلِكِ لِيَعْقِدَ بَعْدَ أَيَّامٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ اجْتِماعًا آخَرَضَمَّ كُلَّ ذِي خِبْرَةٍ فِي مَمْلَكَتِهِ بِفَنِّ الهَنْدَسَةِ وَكُلَّ ذِي مَعْرِفَةٍ بِفَنِّ البِنَاءِ لِيُعَايِنُوا جَمِيعًا : كَيفَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَامَ سَدٌّ بَيْنَ الجَبَلَيْنِ يَحْجِزُ مِيَاهَ الأَمْطَارِ خَلْفَهُ لِتَصْرِيفِهَا حَسَبَ الحَاجَةِ . وَاسْتَمَرَّ الاجْتِماعُ عِدَّةَ أَيَّامٍ وَالرِّجَالُ الَّذِينَ جَمَعَهُمُ الْمَلِكُ وَاسْتَدْعَاهُمْ مِنْ شَتَّى أَنْحَاءِ الْبِلَادِ يَدْرُسُونَ الأَمْرَ ، وَيُقَلِّبُونَ فِيما بَيْنَهُمْ أَوْجُهَ الرَّأْي .

وَبَعْدَ طولِ بَحْثٍ وَطُولِ مُنَاقَشَةٍ اسْتَقَرَّ رَأْيُ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى إِقَامَةِ السَّدِّ ، وَتَنْفِيذِ فِكْرَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ شَمْسٍ ! !

وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى كانَ الْوَادِي الْمُقْفِرُ يَزْخَرُ بِالْحَرَكَةِ ، قَدْ تَجمَّعَ فِيهِ الْبَنَّاءُونَ ، وَاحْتَشَدَ فِيهِ الصُّنَّاعُ وَالْعُمَّالُ ، كُلٌّ يَقُومُ بِعَمَلٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْطَعُ الصَّخْرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْمِلُ الْحَجَرَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَوِّي الأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُرْسِي الْبِنَاءَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْهَرُ الرَّصَاصَ . وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ

الْعَمَلُ ، وَشَرِعَ فِى بِنَاءِ سَدٍّ لَمْ تَعْرِفِ الأَرْضُ مِثْلَهُ .
وَاسْتَمَرَّ الْعَمَلُ فِى إِقَامَةِ السَّدِّ طَوِيلاً ، وَالْمَلِكُ يَنْتَقِلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ قَصْرِهِ إِلَى مَكَانٍ أُعِدَّ لَهُ بِسَفْحِ أَحَدِ الْجَبَلَيْنِ اللَّذَيْنِ يُقَامُ السَّدُّ بَيْنَهُمَا ، حَيْثُ يُشْرِفُ عَلَى سَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيُزَوِّدُ الْقَائِمِينَ عَلَيْهِ بِنَصَائِحِهِ ، حَتَّى بَلَغَ بِنَاءُ السَّدِّ الْحَدَّ الذى قَدَّرُوهُ لَهُ ، وفُتِحَتْ عُيُونٌ يَسْهُلُ فَتْحُهَا وَيُحْكَمُ إِغْلاَقُهَا بِطَرِيقَةٍ هَنْدَسِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ ، تُفْتَحُ عَلَى نَحْوٍ مِنْ ثَلاَثِينَ قَنَاةً تَتَشَعَّبُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَمِيناً وَشِمَالاً ، قَدْ أُعِدَّتْ لِتَسِيرَ فِيهَا الْمِيَاهُ الَّتِى سَوْفَ تُخْزَنُ وَرَاءَ السَّدِّ ، ثُمَّ يُصْرَفُ إِلَيْهَا بِحِسَابٍ مِنْ خِلاَلِ الْعُيُونِ .

وَأَتَتْ مَوَاسِمُ الْأَمْطَارِ فَانْحَدَرَتْ بِالْمُنْحَدَرَاتِ الَّتِى أُعِدَّتْ لَهَا نَحْوَ الْوَادِى ، وحَبَسَ السَّدُّ الْمِيَاهَ عَنِ التَّسَرُّبِ وَالضَّيَاعِ . ثُمَّ صُرِفَ الْمَاءُ فِى الْقَنَوَاتِ الَّتِى أُعِدَّتْ لَهُ . فَسَارَ فِيهَا يَحْمِلُ الْحَيَاةَ وَالنَّضَارَةَ إِلَى كُلِّ مَا حَوْلَهَا .

وَهَكَذَا تَحَقَّقَ حُلْمُ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَكَذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ الْعَمَلِ لِرَخَاءِ بِلاَدِهِ وَرَفَاهِيَةِ شَعْبِهِ .

وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ عَلَى ذَلِكَ جَنَتْ فِيهَا الْبِلَادُ كُلَّ الْخَيْرِ بِمَا فعلَ مَلِكُهَا لها، أَمَّا الْمَلِكُ عَبْدُ شَمْسٍ فَقَدِ اتَّجَهَ إِلَى جهاتٍ أُخْرَى يَبْحَثُ فِيهَا عَنْ خَيْرٍ لِبِلَادِهِ. فَقَدِ اتَّجَهَ إِلَى تَوْسِيعِ مُلْكِهِ وَبَسْطِ سُلْطَانِهِ، فَحَارَبَ وَنَازَلَ حَتَّى بَلَغَ بِحُرُوبِهِ وَفُتُوحَاتِهِ مِصْرَ، وَغَنِمَ مَغَانِمَ، وأَسَرَ أَسْرَى كَانَ يَحْتَفِظُ بِهِمْ لَدَيْهِ حَتَّى تُجَابَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ مَطَالِبُهُ. وَذَاعَ بِذَلِكَ اسْمُهُ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ، فَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ، وَخَشِيَتْهُ الْقَبَائِلُ وَعُرِفَ بَيْنَهَا بِاسْمِ سَبَأٍ. فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ فِي الْحُرُوبِ أَسْرَ الأَسْرَى، وَسَبْيَ السَّبَايَا. وَتَحَوَّلَ إِلَى العَمَلِ عَلَى رَبْطِ الصِّلَةِ بَيْنَ بَلَدِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ بِطَرِيقِ التِّجَارَةِ، وَمُبَادَلَةِ الْبَضَائِعِ، وَمُقَايَضَةِ السِّلَعِ، فَسَارَتْ قَوَافِلُ مَتَاجِرِهِ حَتَّى بَلَغَتِ الشَّامَ وَانْتَشَرَتْ سِلَعُهُ وَبَضَائِعُهُ فِيمَا وَرَاءَ دِجْلَةَ والفُرَاتِ وَإِيرَانَ وَأَتَى اليَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ المَلِكُ القَوِيُّ سَبَأُ «عَبْدُ شَمْسٍ» وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَنْجَبَ عَشَرَةً مِنَ الأَوْلَادِ يَرِثُونَ تَرِكَتَهُ، وَيَحْمِلُونَ رِسَالَتَهُ، وَانْتَهَتْ بِذَلِكَ قِصَّةُ سَبَأٍ الرَّجُلِ، وَابْتَدَأَتْ قِصَّةُ سَبَإٍ القَبَائِلِ. وَسَبَإٍ البَلَدِ.

وكانَ مِنْ أَظهرِ أَوْلادِ سبأٍ حِمْيَرُ وكَهْلانُ فتوارثا عَرْشَ أَبيهمَا: أَحَدُهُمَا بَعْدَ الآخرِ، ثمَّ توارثَهُ أَبناؤُهُمَا مِنْ بعْدِهِمَا، وإنْ كَانَ أَغلَبُ مَنْ مَلَكوا مِنْ أَبْنَاءِ حِمْيَرَ.

ومرَّتْ سَنَواتٌ وتَعَاقَبَتْ أَجْيالٌ، وتفرَّعَ مِنْ أَبناءِ سبأٍ قَبَائِلُ عُرِفَتْ بقبائِلِ سبَأٍ، وتفرَّعتْ مِنْ أبْناءِ عُمُومَتِهِمْ قبائِلُ وعَشائِرُ انْتَشَرَتْ بأَرْجَاءِ أرْضِ اليَمَنِ، وتبعْثَرَتْ فِيما حوْلها بأَماكِنَ عُرِفَ كلُّ مَكانٍ مِنْهَا باسْمِ الْقبيلةِ الَّتي احْتَلَّتْهُ. وتَوالَتْ عَلَى مُلْكِ الْيَمَنِ الْمُلُوكُ، وَتَتابعَ عَلَيْهِ التَّبَابعَةُ، يُطْلَقُ على كُلِّ مَن مَلَكَ الْيَمنَ وَحْدَهُ مَلِكٌ، وَعَلَى كُلِّ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَبْسُطَ سُلْطَانَهُ عَلَى الْيَمَنِ وَالشِّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ وَمَا حَوْلَهَا تُبَّعٌ.

وَعَلَى مَرِّ السِّنِينَ، وَتَتَابُعِ الأَجْيَالِ، وَعَلَى تَوَالِي الْمُلُوكِ وَالتَّبَابعَةِ عَلَى مُلْكِ الْيَمنِ - كَانَ سَدُّ مَأْرِبَ الَّذِي بَنَاهُ سَبَأٌ قَائِمًا يَفِيضُ مَاؤُهُ عَلَى مَدِينَةِ سبأٍ فَيَسْقِي أَبْنَاءَهَا وَحَيَوانَهَا وَيُرْوِي أَرْضَهَا، فيَزِيدُ فِي أَشْجَارِهَا نَضَارَةً. وَفِي زَرْعِهَا نُمُوًّا وَكَثْرَةً.

وَكَانَ أَبْنَاءِ سَبَأٍ أَوْفِيَاءَ لِسَدِّ مَأْرِبَ، مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِهِ؛ فَكَانُوا دَائِمِي الْعِنَايَةِ بِمُلَاحَظَتِهِ وَلَا يَتَوَانَوْنَ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ فِي سَبِيلِ تَرْمِيمِهِ، وَالسَّخَاءِ بِالْمَالِ فِي سَبِيلِ إِصْلَاحِهِ.

وَفِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ مُلْكُهُ وَمَبْعَثُ نُبُوَّتِهِ بِتَدْمُرَ وَالشَّامِ، كَانَ مُلْكُ بِلْقِيسَ عَلَى سَبَأ، وَكَانَتْ بِلْقِيسُ أَوَّلَ امْرَأَةٍ تَمْلِكُ فِي الْعَرَبِ؛ وَاهْتَمَّت بِسَدِّ مَأْرِبَ وَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْعِنَايَةِ أَكْثَرَ مِمَّا وَجَّهَهُ أَيُّ مَلِكٍ قَبْلَهَا؛ فَقَدْ أَرَادَتْ أَنْ تَزِيدَ فِي السَّدِّ مَا يَزِيدُ الْخَيْرَ عَلَى بَلَدِهَا وَشَعْبِهَا. فَأَمَرَتْ بِإِحْضَارِ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْمِعْمَارِيِّينَ وَكُلِّ ذِي خِبْرَةٍ فِي شُئُونِ الْبِنَاءِ. فَلَمَّا حَضَرُوا أَفْضَتْ إِلَيْهِمْ بِرَغْبَتِهَا الَّتِي اعْتَزَمَتْهَا فَقَالَت: أُرِيدُ أَنْ أَرْفَعَ مِنْ بِنَاءِ سَدِّ مَأْرِبَ، وَأَنْ أُغَلِّظَ فِي بِنَائِهِ لِيَكُونَ مِقْدَارُ مَا يَحْجِزُ وَرَاءَهُ مِنَ الْمَاءِ فَرْسَخًا فِي فَرْسَخٍ، وَيَكُونَ فِي الْبِنَاءِ مِنَ الْعُيُونِ طَبَقَةً تَعْلُو طَبَقَةً.

وَتَشَاوَرَ الرِّجَالُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَوِيلاً، فَوَجَدُوا أَنَّ تَنْفِيذَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِيلاً فَإِنَّهُ يَسْتَوْجِبُ جُهْدًا كَبِيراً،

وَيستَنفِدُ مَالاً كَثِيرًا ،لاَ طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ وَأَفضَى الرِّجَالُ إِلَى بِلْقِيسَ بِرَأْيِهِمْ ، وَأَعْلَمُوهَا بِتَعذُّرِ ذَلِكَ واستِحالَتِهِ؛ ولَكِنَّ بِلْقِيسَ صَمَّمَتْ عَلَى أَنْ يُنَفِّذُوا لهامَا رَغِبَتْ ، وأَنْ يَزِيدُوا فِي بِنَاءِ السَّدِّ ما أَرَادتْ مَهما كَلَّفَهاو كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ مِنْ جُهْدٍ ومَالٍ .

وَلجَأَ هَؤلاءِ إِلَى حَاشِيَةِ المَلِكَةِ بِلْقِيسَ وإِلَى المُقَرَّبِينَ مِنْهايَرْجُونَ وَسَاطَتَهُمْ لَدَيْها لِثَنْيِهاعَنْ عَزْمِها.وَلَكِنَّ بِلْقِيسَ مَعَ ذَلِكَ أَصَرَّتْ عَلى رَأْيِهاوصَمَّمَتْ عَلَى عَزْمِها؛وَلَمَّا طَالَ الجَدَلُ بَيْنَهَا وبَيْنَ رِجالِهَا غَضِبَتْ وَغادَرَتْ قَصرَهَا مُعْتَزِلَةً قَوْمَها .

وعَزَّ عَلَى المُقَرَّبِينَ مِنْهاهَجْرُهَا لِقَصْرِهَا،وتَرْكُها لِعَرْشِهَا ، فَسَعَوْا فِي سَبِيلِ إِصْلاَحِ مَا بَيْنَها وَبَيْنَ ذوى الرَّأْى مِنْ مُسْتَشَارِيهَا ، وَأَفرَادِ حَاشِيَتِهَا. وَتَمَّ لِبِلْقِيسَ ما أَرَادَتْ ،فنَزَلَ المُعَارِضُونَ فى بِنَاءِ السَّدِّ عَلى إِرَادَتِها، وَوَافَقُوا عَلَى تَنفِيذِ رَغْبَتِهَا.

وهَكَذَا شَهِدَ وَادِي مَأْرِبَ مِنْ جَدِيدٍ أَكْثَرَ مِمَّا شَاهَدَ مُنذُ مِئاتِ السِّنِينَ .شَهِدَ مُعَدَّاتٍ وَآلاتٍ ، وشَهِدَ رِجَالاً وعُمَّالاً يَرُوحُونَ وَيَغدُونَ بِهِمَّةٍ وَنشَاطٍ ؛وعَلى رَأْسِ هَؤلاءِ مَلِكَةٌ

جَمِيلَةً تَرْفُلُ فِي الدِّيبَاجِ ، وَتَتَحَلَّى بِالْجَوْهَرِ ، وَقَدْ تَرَكَتْ كُرْسِيَّ عَرْشِهَا الْمَصْنُوعَ مِنَ الذَّهَبِ الْمُرَصَّعِ بِالدُّرِّ وَالْيَوَاقِيتِ، وَجَاءَتْ لِتَجْلِسَ فَوْقَ كُرْسِيٍّ مِنَ الْحَجَرِ لِتُشَاهِدَ مَبْلَغَ تَنْفِيذِ رَغْبَتِهَا ، وَتَطْمَئِنَّ عَلَى قُرْبِ جَنْيِ ثَمَرَةِ فِكْرَتِهَا .

ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي انْتَظَرَتْهُ بِلْقِيسُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَتَمَّتِ الْمُعْجِزَةُ الَّتِي أَفْتَى الرِّجَالُ بِاسْتِحَالَتِهَا . وَتَشَعَّبَتْ مَجَارِي الْمَاءِ تُرْوِي سَبَأً رَيًا فَوْقَ رَيٍّ ، وَتَحْمِلُ إِلَيْهَا حَيَاةً فَوْقَ حَيَاةٍ ، وَعَمَّتِ الْمِيَاهُ سَطْحَ الْجَبَلَيْنِ اللَّذَيْنِ بَيْنَهُمَا السَّدُّ ، فَصَارَ الْجَبَلَانِ وَمَا حَوْلَهُمَا جَنَّتَيْنِ عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ شِمَالٍ .

فَهَلْ كَانَ أَهْلُ سَبَإٍ يَشْكُرُونَ اللهَ عَلَى مَا آتَاهُمْ وَأَوْلَاهُمْ ، وَيَحْمَدُونَ لَهُ نِعْمَتَهُ وَكَرَمَهُ؟ لَا !! لَقَدْ كَانَ أَهْلُ سَبَإٍ صَابِئَةً وَثَنِيِّينَ يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ وَيَسْجُدُونَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ !!

ثُمَّ كَانَ مَا كَانَ مِنَ اتِّصَالِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ نَبِيِّ اللهِ بِبِلْقِيسَ ، فَآمَنَتْ بِهِ وَبِرَبِّهِ ، وَعَادَتْ إِلَى قَوْمِهَا تَدْعُوهُمْ لِدِينِ اللهِ .

٥

وَمَرَّتْ عَلَى مَدِينَةِ سَبَأٍ وَأَهْلِهَا حِقْبَةٌ أُخْرَى مِنَ الزَّمَنِ بَعْدَ بلْقِيسَ ، كَانَتْ الْمَدِينَةُ فِيهَا جَنَّةً مِنْ جَنَّاتِ الدُّنْيَا النَّاضِرَةِ ، تَقْسِمُهَا مِيَاهُ السَّدِّ إِلَى رَوْضَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مُثْمِرَتَيْنِ ، قُطُوفُهُمَا دَانِيَةٌ ، قَدْ تَقَارَبَتْ فِيهِمَا الْأَشْجَارُ الْعَالِيَةُ ، وَتَشَابَكَتِ الْأَغْصَانُ الْمُورِقَةُ ،وَانْتَشَرَتْ هُنَا وَهُنَاكَ الْأَزْهَارُ وَالرِّيَاضُ .

وَكَمَا بَارَكَ اللهُ لِسَبَأٍ فِي أَرْضِهَا وَزَرْعِهَا وَبَسَاتِينِهَا ، لَطَفَ لَهَا فِي جَوِّهَا وَرِيحِهَا وَهَوَائِهَا، فَكَانَ جَوُّهَا مُعْتَدِلاً ،وَسَمَاؤُهَا صَحْوًا ، وَرِيحُهَا عَبِقًا ، وَهَوَاؤُهَا نَسِيمًا عَلِيلاً .

فَسَهُلَتْ لِذَلِكَ حَيَاةُ أَهْلِهَا ، وَبَعُدَتْ عَنْهُمْ مَشَقَّةُ الْجُهْدِ فِي سَبِيلِ عَيْشِهِمْ حَتَّى لَكَانَتِ الْمَرْأَةُ يَكْفِيهَا أَنْ تَحْمِلَ سَلَّتَهَا فَوْقَ رَأْسِهَا وَتَمُرُّ بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَغْصَانِ وَمِغْزَلُهَا أَوْ مِنْسَجُهَا فِي يَدِهَا تَتَلَهَّى بِهِ فِي غَزْلِ خُيُوطِهَا أَوْ نَسْجِ ثَوْبِهَا ، ثُمَّ

تَعُودُ إِلَى دَارِهَا وَقَدِ امْتَلَأَتْ سَلَّتُهَا فَاكِهَةً حُلْوَةً نَاضِجَةً شَهِيَّةً ، قَدْ تَسَاقَطَتْ فِي سَلَّتِهَا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا لِكَثْرَةِ مَا تَحْمِلُهُ الأَشْجَارُ مِنْهَا ، وَوَفْرَةِ الْمُثْمِرِ النَّاضِجِ فِيهَا .

فَهَلْ أَرْضَتْ هَذِهِ الْجَنَّةُ أَهْلَ سَبَإٍ ؟ وَهَلْ حَمِدُوا اللهَ وَشَكَرُوا لَهُ نِعَمَهُ ؟ ! !

الْحَقُّ ، أَنَّهُمْ أَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ ، فَأَلْهَاهُمْ رَغَدُ الْعَيْشِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ . فَقَدْ نَسُوهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَعَادُوا لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ كُفَّارًا وَثَنِيِّينَ مُشْرِكِينَ بِاللهِ ! !

أَوَهَلْ أَرْضَى أَهْلَ سَبَإٍ يُسْرُ عَيْشِهِمْ ، وَرَضُوا أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ مِنْهُمْ ؟ ! !

الْحَقُّ ، أَنَّهُمْ لَمْ يَرْضَوْا ؛ فَقَدْ كَانُوا يُبْدُونَ امْتِعَاضَهُمْ لِسُهُولَةِ مَعَاشِهِمْ ، وَيُظْهِرُونَ تَذَمُّرَهُمْ مِنْ عَدَمِ حَاجَتِهِمْ إِلَى التَّنَقُّلِ وَالتَّرْحَالِ كَغَيْرِهِمْ مِنْ قَبَائِلِ سُكَّانِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَيَضِيقُونَ بِقُرْبِ قُرَاهُمْ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَيَقُولُونَ سَائِلِينَ :

رَبَّنَا ، بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا .

وَمَا يَدْرُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ إِنَّمَا يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَأَنَّ اللهَ سَيُجَازِيهِمْ جَزَاءَ عُقُوقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، وَمَا يُجَازِي اللهُ إِلاَّ الْكَفُورَ .

وَكَانَ جَزَاءُ اللهِ لَهُمْ أَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، فَأَغْرَقَهُمْ وَحَرَمَهُمْ مِنْ جَنَّتَيْهِمْ : ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ وَأَبْدَلَهُمْ مِنْهُمَا ثَمَرًا رَدِيئًا ، وَشَجَرًا قَلِيلاً ، وَشَتَّتَ قَبَائِلَهُمْ فَتَنَاثَرَتْ وَتَبَاعَدَتْ ، وَشَقَّ عَلَيْهَا السَّفَرُ وَصَعُبَ التَّرْحَالُ .

وَقَدْ تَنَبَّأَ كُهَّانُهُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ وُقُوعِهِ ، وَحَاوَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ مِمَّنْ تَوَلَّوْا مُلْكَ سَبَإٍ اتِّقَاءَ السَّيْلِ بِمُلاَحَظَةِ بِنَاءِ سَدِّ مَأْرِب ، وَمُحَاوَلَةِ تَرْمِيمِهِ ؛ وَلَكِنْ مَا قَسَمَ اللهُ لِأَهْلِ مَأْرِبَ كَانَ لاَ بُدَّ أَنْ يُصِيبَهُمْ ، وَمَا خَطَّ لَهُمْ فِي لَوْحِ الْقَدَرِ كَانَ لاَ بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن
يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ
غَفُورٌ ١٥ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦ ذَٰلِكَ
جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

صدق الله العظيم

[سورة سبأ – الآيات من ١٥ : ١٧]

# ٦

كَانَتْ قَبَائِلُ سَبَإٍ مِنْ بَنِى حِمْيَرَ وَكَهْلاَنَ هِىَ الَّتِى لاَ تَزَالُ صَاحِبَةَ الْكَثْرَةِ فِى سَبَإٍ ، وَصَاحِبَةَ الأَمْرِ وَالنَّهْىِ فِيهَا .

وَكَانَ عَلَى رَأْسِ بَنِى كَهْلاَنَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَكَانَ لَهُ مَجَالِسُ الرِّيَاسَةِ فِى بَنِى قَوْمِهِ . وَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِى مَجْلِسٍ بَيْنَ قَوْمِهِ . إِذْ أَقْبَلَتْ عَلَى الْمَجْلِسِ امْرَأَةٌ كَاهِنَةٌ مِنْ بَنِى كَهْلاَنَ اسْمُهَا طَرِيفَةُ ، وَسَارَتْ حَتَّى أَتَتْ عَمْرًا ؛ ثُمَّ وَقَفَتْ تَقُولُ : وَالظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ ، وَالأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، لَيُقْبِلَنَّ إِلَيْكُمُ الْمَاءُ ، كَالْبَحْرِ إِذَا طَمَا ، فَيَدَعُ أَرْضَكُمْ خَلاَ .

وَدَهِشَ الْقَوْمُ مِنْ قَوْلِ الْكَاهِنَةِ ، وَسَأَلَهَا عَمْرٌو قَائِلاً : وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا طَرِيفَةُ ؟ ! !

قَالَتْ : بَعْدَ سِتٍّ عَدَدًا ، يَأْتِيكُمُ السَّيْلُ بِفَيْضٍ هَبِيلٍ ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، وَأَمْرٍ ثَقِيلٍ ، فَيُخَرِّبُ الدِّيَارَ ، وَيُذْهِبُ الأَمْوَالَ . قَالَ عَمْرٌو : لَقَدْ فَجَعْتِنَا فِى دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا يَا طَرِيفَةُ ،

فَبَيِّنِي مَقَالَتَكِ ، وَاشْرَحِي قَوْلَكِ .

قَالَتْ : احْرُسُوا السَّدَّ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْأَمْرِ الْمُعَدِّ. انْطَلِقُوا إِلَى رَأْسِ الْوَادِي تَتَأَكَّدُوا مِنْ صِدْقِ مَقَالِي ، فَهُنَاكَ سَتَرَوْنَ الْجُرَذَ الْعَادِيَ قَدْ نَقَبَ الصَّخْرَ ، وَحَفَرَ الْأَرْضَ بِأَظَافِرَ شِدَادٍ ، وَأَنْيَابٍ حِدَادٍ .

فَانْطَلَقَ عَمْرٌو فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى أُسُسِ السَّدِّ وَجُدْرَانِهِ ، فَإِذَا بِجُرْذَانٍ حُمْرٍ قَدْ حَفَرَتْ فِي جُدْرَانِ السَّدِّ، وَنَقَبَتْ فِي صُخُورِهِ ؛ فَوَقَفَ الْقَوْمُ مَبْهُوتِينَ ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ : قَدْ صَدَقَتْ طَرِيفَةُ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُصِيبُنَا مَا قَالَتْ ، وَأَخِيرًا تَكَلَّمَ رَئِيسُهُمْ عَمْرٌو فَقَالَ: مَاذَا تَرَوْنَ يَا رِجَالُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، وَبِمَاذَا تُشِيرُونَ أَنْ نَفْعَلَ ؟

قَالُوا : نُخْبِرُ الْمَلِكَ وَنَتَكَاتَفُ نَحْنُ بَنِي كَهْلَانَ مَعَ أَبْنَاءِ عُمُومَتِنَا مِنْ بَنِي حِمْيَرَ فِي تَعْمِيرِ السَّدِّ وَتَرْمِيمِهِ مِنْ جَدِيدٍ .

قَالَ عَمْرٌو ، وَكَانَ شَيْخًا دَاهِيَةً أَرِيبًا : وَهَلْ تَأْمُلُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَلَّا يُصِيبَ سَبَأً مَا قُدِّرَ لَهَا ؟! قَالُوا: إِذَنْ ؛ مَا الَّذِي تَرَى؟

قَالَ : أَرَى أنْ نَخْرُجَ نَحْنُ بِأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا مِنْ سَبَإٍ قَبْلَ أنْ يَحُلَّ بِهَا مَا قَدْ عَرَفْنَا . قَالُوا وَكَيْفَ نَخْرُجُ بِأَمْوالِنَا ، هِيَ حَدَائِقُ وَمزَارِعُ فِي أَرْض سَبَإٍ ؟!!

قَالَ نَحْتَالُ على ذَلِكَ بِحِيلَةٍ تُخْرِجُنَا مِنْ هَذَا الْمَأزَق .

قَالُوا : الْأَمْرُ وَمَا تَرَى . قَالَ : هَيَّا بِنَا إِلَى مَجْلِسِنَا لِنَرْسُمَ خُطَّةً ، وَنُدَبِّرَ حِيلَةً ، وَنُعِدَّ أَمْراً .. !!

وَعَادَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ إِلَى مَجْلِسِهِمْ يُدَبِّرُونَ أَمْراً فِيمَا بَيْنَهُمْ يُنْقِذُونَ بِهِ أَمْوَالَهُمْ ، وَيُبَرِّرُونَ بِهِ خُرُوجَهُمْ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ ، وَيُحِلُّونَ مَعَهُ مُغَادَرَتَهُمْ لِبَلَدِهِمْ . وَانْتَهَى الْمَجْلِسُ وَقَدْ دَبَّرَ عَمْرُو مَعَ أَوْلَادِهِ وَقَوْمِهِ مَادَبَّر !

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي وَاجْتَمَعَ بَنُو حِمْيَرَ مَعَ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِمْ بَنِي كَهْلَانَ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهِ لِقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ ـ اسْتَدْعَى عَمْرُو أَحَدَ أَوْلَادِهِ ، وكَلَّفَهُ قَضَاءَ أَمْرٍ لَهُ ، وَلَكِنَّ وَلَدَهُ أَظْهَرَ عَدَمَ الِارْتِيَاحِ لِقَضَاءِ هَذَا الْأَمْرِ ، وَعَارَضَ أَبَاهُ فِيهِ . فَاحْتَدَّ عَمْرُو عَلَى وَلَدِهِ وَنَهَرَهُ ، وَسَبَّهُ ، وَرَفَعَ عَلَيْهِ عَصَاهُ

يَضْرِبُهُ . فَمَا كَانَ مِنَ الْوَلَدِ إِلاَّ أَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَبِيهِ وَرَفَعَ يَدَهُ ثُمَّ هَوَى بِهَا عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ يَلْطِمُهُ . . ! !

وَذُهِلَ الْجَالِسُونَ وَوَجِمُوا ، وَعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ أَلْسِنَتَهُمْ . ثُمَّ تَعَلَّقَتْ عُيُونُهُمْ بِوَجْهِ عَمْرٍو يَرَوْنَ مَا هُوَ فَاعِلٌ . . ! !

وَاحْتَقَنَ وَجْهُ عَمْرٍو ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ثُمَّ صَاحَ بِصَوْتٍ مَبْحُوحٍ مُتَهَدِّجٍ عَلَى قَوْمِهِ يَقُولُ اقْبِضُوا عَلَى ابْنِي وَاقْتُلُوهُ !

فَهَبَّ الرِّجَالُ مِنْ مَجَالِسِهِمْ — وَبَعْضُهُمْ مِنْ بَنِي كَهْلاَنَ — يَقْبِضُ عَلَى وَلَدِ عَمْرٍو وَيُكَبِّلُهُ وَيُلَبِّبُهُ . وَبَعْضُهُمْ مِنْ بَنِي حِمْيَرَ — يُهَدِّئُونَ مِنْ ثَوْرَةِ عَمْرٍو ، وَيُطَيِّبُونَ خَاطِرَهُ ؛ وَعَمْرٌو ثَائِرٌ غَاضِبٌ لاَ يَهْدَأُ ، وَلاَ يَقْبَلُ الْعَفْوَ عَنْ وَلَدِهِ .

وَقَضَى الرِّجَالُ يَوْمًا بِأَكْمَلِهِ يَسْتَرْضُونَ عَمْرًا فِي الْعَفْوِ عَنِ ابْنِهِ ، وَيَتَشَفَّعُونَ لَدَيْهِ رَجُلاً بَعْدَ رَجُلٍ ، حَتَّى اسْتَجَابَ أَخِيرًا إِلَى رَجَائِهِمْ ، وَتَرَكَ لَهُمْ أَمْرَ وَلَدِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ التَّالِي أَعْلَنَ عَمْرٌو أَنَّهُ لَنْ يَبْقَى فِي بَلَدٍ امْتُهِنَ فِيهِ ، وَلَنْ يُقِيمَ فِي أَرْضٍ خُدِشَتْ كَرَامَتُهُ فِيهَا . وَأَعْلَنَ أَنَّهُ يَوَدُّ بَيْعَ أَرَاضِيهِ وَأَرَاضِي قَوْمِهِ

وَقَالَ رُؤَسَاءُ بَنِي حِمْيَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْتَهِزُوا فُرْصَةَ غَضْبَةِ عَمْرٍو، وَابْتَاعُوا أَرَاضِيَهُ وَحَدَائِقَهُ وَمَزَارِعَهُ هُوَ وَمَنْ يَخْرُجُ مَعَهُ مِنْ بَنِي قَوْمِهِ! وَتَهَافَتَ بَنُو حِمْيَرَ يَبْتَاعُونَ أَرَاضِي بَنِي كَهْلَانَ، وَأَرَاضِيَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي أَبَتْ إِلَّا أَنْ تَصْحَبَ عَمْرًا فِي خُرُوجِهِ وَتَغْضَبَ لِغَضْبَتِهِ! وَهَكَذَا أَفْلَحَتْ حِيلَةُ عَمْرٍو الَّتِي رَسَمَهَا وَدَبَّرَهَا مَعَ قَوْمِهِ وَأَوْلَادِهِ لِلْخُرُوجِ بِأَمْوَالِهِمْ مِنْ سَبَأٍ.

وَغَادَرَ عَمْرٌو وَقَوْمُهُ وَمَنْ صَحِبَهُ مِنَ الْقَبَائِلِ أَرْضَ سَبَأٍ، وَسَارُوا فِي صَحْرَاءِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، لِيَتَخَيَّرَ كُلُّ قَوْمٍ مَكَانًا يَنْزِلُ بِهِ، وَلِتَنْتَخِبَ كُلُّ قَبِيلَةٍ مَوْضِعًا تُقِيمُ فِيهِ، وَبِهَذَا تَفَرَّقُوا وَتَبَعْثَرُوا فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ. حَتَّى لَكَانَتِ الْقَبِيلَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ، وَالْأُسْرَةُ تَنْشَطِرُ إِلَى شَطْرَيْنِ، فَيُقِيمُ كُلٌّ مِنْهُمَا فِي نَاحِيَةٍ بَعِيدَةٍ كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ الْآخَرِ.

فَسَارَ قَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَنَزَلَ قَوْمٌ يَثْرِبَ! وَتَخَلَّفَتْ جَمَاعَةٌ بِجِوَارِ مَكَّةَ، وَقَصَدَتْ جَمَاعَةٌ إِلَى عُمَانَ.

وَتَحَقَّقَتْ نُبُوءَةُ طَرِيفَةَ بَعْدَ وَقْتٍ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ، فَطَغَى

السَّيْلُ عَلَى السَّدِّ الَّذِي نُخِرَتْ أُسُسُهُ ، وَوَهَنَتْ جُدُرُهُ ، فَهَدَمَهُ وَأَطَاحَ بِهِ . ثُمَّ طَغَى الْمَاءُ يَحْمِلُ فِي تَيَّارِهِ الصُّخُورَ ، وَيَقْذِفُ الْأَحْجَارَ ، وَيَكْسَحُ الرِّمَالَ ! فَأَغْرَقَ الْحَدَائِقَ ، وَطَمَرَ الْبَسَاتِينَ ، وَخَرَّبَ الدُّورَ وَالْقُصُورَ ! ! وَهَكَذَا ذَهَبَ سَدُّ مَأْرِبَ الَّذِي عَاشَ عُصُورًا ! وَعَاصَرَ أَجْيَالاً .

وَذَهَبَتْ مَدِينَةُ سَبَإٍ الَّتِي أَنْشَأَهَا وَعَمَّرَهَا إِقَامَةُ السَّدِّ ؛ ثُمَّ أَضَاعَهَا وَأَطَاحَ بِهَا انْهِيَارُ السَّدِّ . وَذَهَبَتْ قَبَائِلُ سَبَإٍ الْبَاقِيَةُ تَدُورُ فِي الصَّحْرَاءِ هُنَا وَهُنَاكَ ، تَبْحَثُ عَنْ مَلْجَإٍ لَهَا ، كَمَا بَحَثَتْ أَخَوَاتُهَا الَّتِي خَرَجَتْ بِأَمْوَالِهَا مِنْ قَبْلُ . . ! !

وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ قِصَّةُ سَبَإٍ الْبَلَدِ ! كَمَا انْتَهَتْ قِصَّةُ سَبَإٍ الْقَبَائِلِ ! وَذَهَبُوا مَضْرِبًا لِلْأَمْثَالِ عَلَى طُولِ السِّنِينِ ، يَتَمَثَّلُ بِهِمُ النَّاسُ فِي كُلِّ مَنْ تَفَرَّقَ وَتَبَعْثَرَ وَافْتَرَقَ ؛ فَيَقُولُونَ : تَفَرَّقَ الْقَوْمُ أَيْدِي سَبَإٍ ، أَوْ تَفَرَّقَ الْقَوْمُ أَيَادِي سَبَإٍ . . ! ! وَصَحَّ فِيهِمْ : وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ، وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . .

# مجموعة القصص الدينية

تتضمن هذه المجموعة قصصاً شائقة ، فيها تنوير للقلب ، ودعوة إلى الحق ، وإيمان بالمبدأ ، واتصال بالله . جرت حوادثها مع رجال غلبت عليهم الروحانية ، وأعلنوا الحق غير مبالين أن يصيبهم ما يصيبهم ، ولو كان فيه تلف نفوسهم : فهي الشجاعة في إبداء الرأى ، ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم ، وهي ثورة على الفساد ، ومحاربة الطغيان ! ثم انتصار الحق والفضيلة والخلق الكريم .

| | |
|---|---|
| ١ – قابيل وهابيل | ١١ – عام الفيل |
| ٢ – سبأ | ١٢ – زمزم |
| ٣ – ذو القرنين | ١٣ – مؤمن آل فرعون |
| ٤ – قارون | ١٤ – طالوت وجالوت |
| ٥ – موسى والخضر | ١٥ – العزير وحماره |
| ٦ – بقرة بنى إسرائيل | ١٦ – شكر النعمة |
| ٧ – أصحاب القرية | ١٧ – الإسراء والمعراج |
| ٨ – أهل الكهف | ١٨ – سدرة المنتهى |
| ٩ – أصحاب الأخدود | ١٩ – بائع الأمراء |
| ١٠ – أصحاب الفيل | ٢٠ – جريج العابد |

ثمن النسخة ٣ قروش


دار المعارف

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة